www.nidaulhind.com

نجيب الكيلانى كروائي إسلامي

د/ محمد نجم الحق

أستاذ، قسم اللغة العربية، جامعة غور بنغا، بنجال الغربي، الهند

إن الأديب المصري، نجيب الكيلاني قد إختار الأدب الإسلامي، لأن الأدب الإسلامي أدب شمولي، عالمي إنساني، لا يتوقف عند المسلم في نفسه أو بيئته أو وطنه، فظهرت هذه الشمولية في قصصه ظهورا واضحا وميزته بين أقرانه، فإنه يرى "أن آفاق الأدب الإسلامي رحبة واسعة، والأديب المسلم يستطيع أن يلج عديدا من الأبواب، يدلف منها إلى التائهين، والضائعين، والممزقين في هذا العصر، والأديب المسلم ملتزم بمبادئه، لأنه ينظر إلى الإنسان والكون والحياة من خلال تصور إسلامي"(١). وفي نظره أيضا "أن الأدب الإسلامي الصحيح جزء لايتجزأ عن الواقع وحركة الحياة والعمل الدائب"(٢)، ويقول أيضا "الأديب المسلم مسافر دائما، إنه يقصد أرضا جديدة"(٣). وقد حكى الدكتور نجيب الكيلاني رحلته من الأدب المجرد إلى الأدب الإسلامي، وأثبت أن الأدب الإسلامي هو الأدب الحقيقي، وأنه يرشد إلى الطريق السليم للحياة، وفي هذه الرحلة من الأدب الذي لا هدف له، أو الأدب الشارد، أو الأدب التائه الذي يتيه في كل واد، يتبعه الغاوون بعد إنحرافه عن الجادة، ويكفي لرحلته إلى الأدب الإسلامي، شهادة الأديب الكبير نجيب محفوظ حيث يقول "إن نجيب الكيلاني هو منظر الأدب الإسلامي الآن"(٤).

ولقد بدت موهبة نجيب الكيلاني الروائية منذ ذلك اليوم الذي كتب فيه روايته "الطريق الطويل" وإنه كتبها بسرعة في ظروف صعبة مع أنها كانت من أول أعماله، وقد بقي عطاؤه الروائي متميزا على عطاءاته الأدبية الأخرى من ناحية الكم والكيف معا، حيث بدأ في كتابة الرواية في فترة مبكرة من عمره 26 سنة ، وظل وفيا لها آخر عمره، وكانت روايته مملكة البلعوطي آخر نتاجه الروائي. وكان الكيلاني روائيا في المقام الأول، وكانت الرواية صوته الأقوى مع أنه إقتحم في مجال الدراسات الأدبية، والقصة القصيرة، والمسرحية، والشعر، وغيرها، وقد قاربت الروايات التي كتبها أربعين رواية وهو عدد ضخم يمنح الدكتور الكيلا ني مقاما متميزا بين كتاب الرواية العربية بعامة والإسلامية بخاصة.

كيف مال إلى كتابة الرواية الإسلامية:

وقد فطن الدكتور الكيلاني إلى أهمية كتابة الرواية الإسلامية لأسباب مختلفة.

1. لما لفت إنتباهه إلى حرص الشيوعيين على نشر الأدب الشيوعي وترويجه، وتشجيع قرائه، وجاءه الجواب على لسان أحدهم بأن هذه الأعمال الأدبية هي خير أداة لنقل أفكارهم الشيوعية، وهز هذاالجواب كاتبنا الإسلامي هزة عنيفة وظل يسئل نفسه لماذا لاتستخدم الرواية للدعوة إلى الخير والحث عليه، والترغيب به، والنهي عن الفحشاء والمنكر، وبيان ضررهما على الفرد والمجتمع مع أنها صارت مجالا واسعا لكثير من الدعوات والإتجاهات.

---

١. آفاق الأدب الإسلامي، للدكتور نجيب الكيلاني، ص، ٤٤
٢. السابق، ص، ٥١
٣. السابق، ص، ٥٨
٤. مجلة المصور، أكتوبر ١٩٨٩م

www.nidaulhind.com

2. وأثناء هذا إلتفت نظره إلى رأي الدكتور عبد الرحمن رأفت باشا رحمه الله الذي يرى أنه إذا كنا نريد التصدي لغزو الفنون المنحرفة التي تشيع الفاحشة بين الناس وتروج الخلاعة فلايمكن ذلك بإستنكارها أو الإعراض عنها، ولا يتحقق بالإنحراف عنها، وإنما يكون بالعمل الإيجابي وذلك بأن نوجه الأدب الذي لانريد بالإدب الذي نريد(١).

3. والسبب الثالث الذي جعله يضطر إلى كتابة الرواية الإسلامية هي شهرة "مجموعة عدالة السماء" هذه مجموعة قصصية إسلامية لمحمود شيت خطاب، لقد لقيت هذه المجموعة القبول والشهرة، يؤكد أهمية إستثمار فن القصة وتوظيفها في التوجيه الإسلامي مع أن كاتبها يقرر أنه ليس كاتبا محترفا يجيد هذا اللون من الأدب، يقول محمود خطاب "لم أتوقع أبدا أن يحظي كتابي "عدالة السماء" بهذا الإنتشار الواسع على نطاق الأقطار العربية والبلاد الإسلامية، فينشر بأكثر الصحف، والمجلات، ويذاع بأغلب الإذاعات، ويترجم إلى مختلف اللغات، وتصبح قصصه شائعة وأهدافه معروفة، ويؤثر في الناس تأثيرا بالغا(٢).

هذه الأسباب إضطرت صاحبنا إلى ضرورة القصة الإسلامية التي تسد حاجة القراء وتغنيهم من الآداب المنحرفة المضلة وتكون وسيلة لنشر العلوم الإسلامية والطريق السوي، فصار وفيا لها إلى وفاته.

التوازن بين المضمون والشكل: إنه نجح إلى حد كبير في إقامة التوازن بين المضمون من رواياته من جهة والشكل من جانب أخرى، واستطاع عمليا أن يرد على المقولة "إن الأدب الإسلامي هو أدب مضمون فقط" وفاز الكيلاني في أغلب أعماله الروائية أن يجعل كلا من المضمون الإسلامي الجيد، والشكل الفني المناسب يلتقيان في منتصف الطريق محرزا بذلك نجاحا في تحقيق المعادلة الصعبة بين المضمون والشكل، لأن القصص الإسلامية قبله تتجلى فيها سطوة المضمون وقوته مع أن العمل الروائي لايحتمل الإكثار من المعلومات، وكانت رغبة الكيلاني إقامة التوازن المطلوب الذي كان هدفا من أهدافه فيقول مثلا في تقديمه لرواية "اليوم الموعود" والفن الحقيقي هو مزيج من التعبير الناجح الذي يضم بين ثناياه أفكارا نابضة تتسم بالإيجابية المجيد" (٣).

وعلى سبيل المثال رواية "ليالي السود في تركستان" لقد ضمت هذه الرواية أحداثا تاريخية تعطي القاري معلومات قيمة عن مشكلة تركستان، التي لانستطيع نسمع شيئا عنها، فنحن نرى في الرواية كيف تم للصينيين إحتلال البلاد وكيف قاومهم المسلمون حتى نجحوا في إعلان جمهورية كاشغر وإختيار خوجه نياز رئيسا لها، ثم تدخل الروس لمساعدة الصينيين، لكن قيام الحرب العالمية الأولى جعلت روسيا تضطر إلى سحب قواتها من تركستان فتعزز موقف المسلمين مرة أخرى، ورغبت روسيا في العودة إلى المنطقة، وأقاموا جمهورية تركستان الشرقية مع أن المسلمين دفعوا الكثير في مقابل مساعدة الروس لهم، إذ تدخل أولئك في الحياة السياسية زوروا الحياة العامة، وتوجهوا أعمالهم الإجرامية بإعتقال الشيخ علي خان والذهاب به إلى مكان مجهول، ثم احكموا قبضهم على البلاد وأعملوا القتل والتشريد في أهلها حتى خضع لهم الناس وتفرق المجاهدون، وتشتت جمعهم وبذلك إستطاعوا أن يفصلوا تركستان المسلمة عن جسم الدولة الإسلامية(٤).

وإن الأستاذ الكيلاني يبرز بين الأحداث الحقيقة كثيرا من الأحداث الخيالية الموضوعة التي تتفق مع الجو العام للقصة حتى تأتي في الوهم أنها أحداث حقيقية وليست محض خيال كقصة زواج نجمة الليل من الضابط الصيني باودين واختفاء مصطفى حضرت في زي حمال ثم عمله في قصر نجمة الليل، من تلك الأحداث التخييلية هرب مصطفى حضرت إلى

١. نحو مذهب إسلامي، للدكتور عبد الرحمن رافت الباشا، ص، ٨٩
٢. تدابير القدر، لمحمد شيت خطاب، ص، ٧
٣. اليوم الموعود، للدكتور نجيب الكيلاني، ص، ٥
٤. الإتجاه الإسلامي في أعمال نجيب الكيلاني القصصية، عبد الله بن صالح العريني، ص، ٥

www.nidaulhind.com

كشمير ولقائه بزوجته وابنته، ومن تلك الأحداث الموضوعة ما وقع لشيخ المسجد عندما رفض أن يجعل الشيوعيون مستودعا فدافع شيخ المسجد دفاعا كاملا ولكنهم أصابوه الضرب الموجع فلم يملك إلا الصياح والإستغاثة ولم يجرأ أحد على مديد العون إليه، وكان منصور درغا ينظر إلى المشهد فلم يستطع تحمل رؤية الشيوعيين يعذبون هذا الشيخ المسكين فارتقى المئذنة وأمطرهم من الرصاص وفرقهم عن الشيخ ولكن العون وصل إلى الحرب بين منصور درغا ومعه قليل من الأهالي وبين جنود الجيش الشيوعية وانتهى بإستشهاد منصور وشيخ المسجد وبعض الشرفاء. فنجح الدكتور الكيلاني في إقامة التوازن بين الحقيقة والفن، فالقارئ يمتع بالأحداث الخيالية إذ يقدم الظلم والإجرام في صورها الوحشية كما يقدم صور المجاهدين والفدائيين ليكون نظيرا في تاريخ المعاصر(١).

الدعوة إلى كلمة الحق بالرواية: إستخدم الكيلاني رواياته لخدمة الدين الإسلامي وكان حريصا على ألا يوجه للقارئ نصحا مباشرا أو يعلن عن فكرته بصوت عال وإنما كان يسلك إلى فكرته مسلك الحاذق المدرك لواقع حال لكثير من القراء الذين يحتاجون إلى كثير من اللطف والرفق، وكان يؤكد أن الرواية الإسلامية لا تتعني أن تكون متضمنة لآيات قرآنية كريمة، أو أحاديث شريفة أو مواعظ ووصايا بل يمكن أن يكون التوجيه الإسلامي من الرقة والشفافية بحيث لايشعر به القارئ، وكان القارئ العادي هدفا من أهدافه حيث يذكر الدكتور الكيلاني أنه أراد من خلال كتاباته روايات إسلامية معاصرة أن يقتحم وجدان القارئ العادي، ليفهم القضايا الإسلامية، حيث يجد أمامه قصة عادية فيها كل المشوقات التي يريدها ولكنها تحمل قضية، وتكون دعاية لها(٢).

أسلوب الكيلاني وخصائص فنه

يتميز نجيب الكيلاني بإلتزامه عناصر الرواية وشروط جودتها من الأحداث، والأشخاص، والبيئة، والحبكة، واللغة والحوار.

الأحداث: الحكاية التي تتألف منها الرواية يبدعها المؤلف من خياله أو مما وقع له في الحياة أو عرفه بطريقة من الطرق ويقدمها بصور ممتعة، فنجد الكيلاني في جميع رواياته يقدمها على طريقة فنية، مشوقة، جذابة، موافقة لأذواق القراء، فعلى سبيل المثال نجده مختلفا بين كتاب القصة التاريخية إذ يفسرون أحداث الماضي تفسيرا موجها لنقد الحاضر ولكنه يدرس الأحداث الجديدة على ضوء القديمة ويضربها على محك العقيدة ليبين الجهاد المفضي إلى الإستشهاد وحب الجنة الذي يبغض إلى الإنسان زينة الحياة الدنيا، ونقدم لذلك مثالا من رواية "عمر يظهر في القدس" "إذا أردت أن تعرف كيف يصبح العبيد سادة فتذكر قصة أخي بلال بن رباح، لقد سخر من نتن الكفر لدى أساطين الكفر في مكة، ضربوه، عذبوه، لكنه لم ينحن ليلتقط الفئات" (٣).

الأشخاص: تمتاز روايات الكيلاني بالبراعة في رسم الشخصيات كما أنه يعتمد في روايته "حكاية جاد الله" مثلا على طريقة السرد المباشر من خلال قصه للأحداث وتقديمه للشخصيات، مستخدما ضمير الغائب مع عناية شروط الشخصيات هي، أن تكون بعيدة عن التناقص حيوية وفعالة مؤثرة، و متفاعلة مع الأحداث، ومتطورة بتطورها من أول القصة إلى آخرها، وتؤثر في تصوير موقف من المواقف، ويوجد فيها صراع أو إحتكاك فيما بينها وبين الآخرين، (٤) كما أنه يقدم شخصية عمر في روايته "عمر يظهر في القدس" وشخصيتا محمد إدريس وابنته فاطمة في رواية "عذراء جاكرتا" وغيرها من الشخصيات الإسلامية الأخرى على أساس القدوة والأسوة لا على أساس الفكرة المجردة، ثابتة كما تقول

١. السابق، ص، ٥٤، ٥٥
٢. اليوم الموعود، للدكتور نجيب الكيلاني، ص، ٦
٣. عمر يظهر في القدس، للدكتور نجيب الكيلاني، ص، ٢٥
٤. القصة والرواية، لعزيزة مريدان، ص، ٢٧

www.nidaulhind.com

شخصية عمر في رواية " عمر يظهر في القدس"، "لقد أبتليتم بالأنانية على مستوى الفرد والدولة لم لا تحطمون هذه القيود والسرود؟ إمتزجوا، تآخوا أو دوسوا الأسلاك الشائكة التي تفصل بينكم، واحفروا قبرا لكل بادرة من بوادر التفرقة"(١). كما أنه يقدم شخصيتها نامية متطورة منها راشيل اليهودية الشرقية اللعوب في أول القصة المؤمنة بالإسلام في آخرها، (في رواية عمر يظهر في القدس) التي سحرت من عمر وأعرضت عن فتاها "إيلي" المغرور، وصارت ضحية من ضحايا الموساد كما يقول الضابط الإسرائيلي "..... راشيل جرثومة فساد في مجتمعنا الإسرائيلي ..... لا خلاص منها إلا بالموت ..... هؤلاء اليهود الشرقيون حقراء" (٢).

البيئة: يراد بها الزمان والمكان والجو العام المحيط بها، يخضع الكاتب شخصياته للبيئة، يمثل الفضاء المكاني، والمجال الزمني ركنا مهما في البناء الروائي عند الكيلاني ويتجلى ذلك في معظم رواياته التي تستهدف بيئة القرية من خلال أسلوب ساذج قروي بسيط كما نشاهد ذلك في رواية "قضية أبو الفتوح الشرقاوي" حيث يحاور أبو الفتوح الشرقاوي مع زوجته بعد إختفائه عن عيون الطاردين في القاهرة.

- فيم تفكرين يا عبيطة
- بيتنا الصغير في القرية
- ليس فيه ما يساوي نصف فرنك
- فيه الخير كله
- إن ما يخر في نفسي يا قطيفة هو ترك الحمار وحده ..... سيموت من الجوع
- لن يتركه الجيران بدون أكل ..... لكن
- ماذا؟
- دائما أخاف من البندر
- نحن في المحروسة يا هبلاء
- الناس فيها غير الناس في قريتنا... (٣)

وكما يمثل الزمان في رواية "ملكة العنب" يقول العمدة الطيب لزوجته " كثيرا ما تحدثني نفسي بأني غير قادر على حمل المسؤلية ويبدو لي أني لم أخلق لهذا الزمان ... في الماضي كان كل شئ يسير على ما يرام لم تحيرني جريمة، ولم يستعص على لغز، أما اليوم فقد تحول الناس إلى شياطين ... يحبكون جرائمهم ... ويزورون كل شئ ويبرعون في تضليل العدالة" (٤) ويقول أبو المجد شاهين لزوجته "لا يعلم الغيب إلا الله ... هذا زمان الغموض والضلال(٥).

الأهداف: المهم لكل رواية جيدة من غرض مكنون مع المتعة والجمال، يدير المؤلف الرواية حوله، وتتجلى من خلالها وجهة نظر في الحياة وتفسيره لها ونقده كذلك، والفنان القدير يحرص كل الحرص على سلامة قصه من الناحية الفنية بعدا عن الغموض والإبهام إلى جانب مراعاته الهدف الجيد، لأنه بذلك يكون أشد تأثيرا وأقوى فنا، فنجد جميع روايات

١. عمر يظهر في القدس، للدكتور نجيب الكيلاني، ص، ٧٣
٢. السابق، ص، ٢٦١
٣. قضية أبو الفتوح الشرقاوي، للدكتور نجيب الكيلاني، ص، ١٠١، ١٠٢
٤. ملكة العنب، للدكتور نجيب الكيلاني، ص، ٣٣
٥. السابق، ص، ٣٢

www.nidaulhind.com

الكيلاني تهدف إلى دعوة الإسلام وإبلاغه مع عناية الإمتاع العقلي والوجداني ويتضح ذلك أيضا من رائه في قصص القرآن حيث يقول " يتميز القصص القرآني بالبعد عن الغموض والإبهام، إنطلاقا من أن الإسلام دعوة وبلاغ، أو إبلاغ وبيان وتبيان وذكر، ومن ثم فإن القصة تحرص على الإمتاع العقلي والوجداني ولا تؤرث الحيرة والبلبلة "[١].

فعلى سبيل المثال "حكاية جاد الله" قصد الدكتور الكيلاني فيها هتك الستر عن التفسخ الأخلاقي والدعوة إلى السداد حيث إنه فاز بتقديم الهدف من الناحية الفنية.

الحبكة: نجد رواياته محكمة مرتبطا حوادث القصة وشخصياتها إرتباطا منطقيا شاملة معناها اللغوي والإصطلاحي، فهي لغة الشد والإحكام وتحسين أثر الصنعة في الثوب وإجادة نسجه والتحبيك التوثيق، والتخطيط وقد وصف الله السماء بالإحكام فأقسم "والسماء ذات الحبك" الذاريات [٢] وفي مصطلح أدبي هي عبارة عن إحكام بناء القصة ومفهومها أن تكون حوادث القصة وشخصياتها مرتبطة إرتباطا منطقيا يجعل من مجموعها وحدة متماسكة الأجزاء ذات دلالة محدودة وهي تتطلب نوعا من الغموض الذي تتضح أسراره في وقتها المناسب" [٣].

ويتجلى ذلك في "الليالي السود في تركستان" و"عمالقة الشمال" و "إمرأة عبد المتجلي" وغيرها من الروايات ويقدم الكيلاني رواياته مع رعاية القواعد التي ذكرها الأستاذ محمود تيمور في كتابة فن القصص هي (أ) التوازن في مراحل القصة (ب) الوحدة الفنية وترابط عناصرها، (ج) أن تكون الشخصيات طبيعية، (د) عدم صراحة، وقدر إستطاع، والأفضلية للتلميح ولاسيما إذا كانت لكبار حتى يترك للقارئ أو السامع مجالا للتفكير والتخيل لمعرفة وراء هذه الإشارات من معان، (ه) أن يكون الحوار بين الأشخاص طبيعيا ومؤثرا بدون تناقض، (و) يجب ألا تكون الفكرة التي يعالجها الكاتب في قصصه مصبوغة في قالب موعظة أو حكمة بل يجب أن تكون مطوية في غضون الحوادث والسرد غير الملموس بالكلام المكشوف وذلك الفرق بين القصة والمقالة (ز) تجنب الإبتذال في الأسلوب (ح) توفر عنصر التشويق[٤].

اللغة والحوار: إن لغة جميع رواياته هي الفصحى فقد إستخدمها الكيلاني سردا ووصفا وحوارا حتى جعل حوار شخصياته مع إختلافها باللغة العربية الفصحى، البسيطة السهلة، دون تقعر أو تشدق، وكان الحوار في كثير من المواطن جيدا برغم كونه بالفصحى لأنه كان يقرب من شخصية القائل، ويمثل روحه إلى حد كبير، ويتجلى هذا في جميع رواياته حينما نقرأها.

المراجع

١. الإتجاه الإسلامي في أعمال نجيب الكيلاني القصصية، عبد الله بن صالح العريني، المهرجان للتراث والثقافة، ١٤١٩ه

٢. إمرأة عبد المتجلي، الدكتور نجيب الكيلاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٢ه، ١٩٩٢م

٣. آفاق الأدب الإسلامي، الدكتور نجيب الكيلاني، ط،٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠١ه

١. حول القصة الإسلامية، للدكتور نجيب الكيلاني، ص، ٤٠
٢. سورة الذاريات، الآية، ٧
٣. فن الكتابة للأطفال، لأحمد نجيب، ص، ٢٥
٤. فن القصص، لمحمد تيمور، ص،٢٧

www.nidaulhind.com

٤. تدابير القدر، محمد شيت خطاب، ط٣، دار اللواء، الرياض، ١٤١١ه

٥. حكاية جاد الله، الدكتور نجيب الكيلاني، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٨ه، ١٩٨٨م

٦. حول القصة الإسلامية، الدكتور نجيب الكيلاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٢ه، ١٩٩٢م

٧. عذراء جاكرتا، الدكتور نجيب الكيلاني، ط، ٨، دار النفائس، بيروت، ١٤٠٨ه، ١٩٨٨م

٨. عمالقة الشمال، الدكتور نجيب الكيلاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٣م

٩. عمر يظهر في القدس، الدكتور نجيب الكيلاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٨ه، ١٩٨٨م

١٠. فن القصص، محمد تيمور، مكتبة الآداب، القاهرة (بدون تاريخ)

١١. فن الكتابة للأطفال، أحمد نجيب، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٦٥م

١٢. القصة والرواية، د. عزيزة مريدان، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٠ه، ١٩٨١م

١٣. قضية أبو الفتوح الشرقاوي، الدكتور نجيب الكيلاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٢ه، ١٩٩٢م

١٤. الليالي السود في تركستان، الدكتور نجيب الكيلاني، ط، ١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩١م

١٥. مجلة المصور، أكتوبر ١٩٨٩م.

١٦. ملكة العنب، الدكتور نجيب الكيلاني، دار إبن حزم، بيروت، ١٤١٢ه، ١٩٩٢م

١٧. نحو مذهب إسلامي، للدكتور عبد الرحمن رافت الباشا، ط١، كلية اللغة العربية، الرياض، ١٤٠٥ه

١٨. نور الله، الدكتور نجيب الكيلاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٦م

١٩. اليوم الموعود، الدكتور نجيب الكيلاني، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت،١٣٩٨ه

نداء الهند